مَصِيْرُ أَبْنَاءِ الـمُشْرِكِيْن

يَوْمَ الـدِّيْن

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

المقدّمة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنـا ، مـن يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحـده لا شـريك لـه ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قال تعالىٰ : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّـذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١] ، وقال تعالىٰ : ﴿**يا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فقد اختلف العلماء في مصير أبناء المشركين، فبعضهم صرَّح بنجاتهم، وبعضهم حكم بكـونهم في النَّار تبعاً لآبائهم، والبعض الآخر ذهب إلىٰ القول بامتحانهم في الآخرة... حتَّىٰ أَنَّـي رأيـت الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكر فيهم عشرة أقوال للعلماء...

ولبيان وجه الحقّ في هذه المسألة ، كانت هذه الدِّراسة التي اشتملت علىٰ أربعة مباحث هي:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجنَّة .

المَبْحَثُ الثَّانِي: أَنَّهُم يُمْتَحَنُونَ فِي الآخِرَة .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ فِي النَّار تَبَعَاً لآبَائِهِم .

المَبْحَثُ الرَّابعُ: المَذَاهِبُ الأُخْرَىٰ فِي مَصِيْرِهِم .

والله اسأل أن يجنِّبنا الزَّلل والختل، والهوىٰ والرَّدىٰ، وأن ينفعنا بما علَّمنا ، إنَّه أهل ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة

ذهب إلىٰ هذا المذهب جمعُ غفير من العلماء، منهم:

(١) الإمام البخاري: فقد عقد باباً في صحيحه سمَّاه بـ(باب ما قيل في أولاد المشركين) ضمن كتاب الجنائز(١) . قال الحافظ ابن حجر:" هَذِهِ التَّرْجَمَةُ تُشْعِرُ أَيْضًا بِأَنَّهُ كَانَ مُتَوَقِّفًا فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ جَزَمَ بَعْدَ هَذَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّومِ (٢) بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ اخْتِيَارِ الْقَوْلِ الصَّائِرِ إِلَىٰ أَنَّهُمْ فِي الجنَّة ، كَمَا سَيَأْتِي تَحْرِيرُهُ ، وَقَدْ رَتَّبَ أَيْضًا أَحَادِيثَ هَذَا الْبَابِ تَرْتِيبًا يُشِيرُ إِلَىٰ الْمَذْهَبِ الْمُخْتَارِ ، فَإِنَّهُ صَدَّرَهُ بِالْحَدِيثِ الدَّالِّ عَلَىٰ التَّوَقُّفِ ثمَّ ثَنَّىٰ بِالْحَدِيثِ الْمُرَجِّحِ لِكَوْنِهِمْ فِي الجنَّة ، ثمَّ ثَلَّثَ بِالْحَدِيثِ الْمُصَرِّحِ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي سِيَاقِهِ : "وَأَمَّا الصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ" (٣) قَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ : وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ" (٤) .

(٢) الإمام النَّووي: حيث قال في شرحه لصحيح مسلم: " وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ ، قال ... الثَّالِثُ : وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ : أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الجنَّة ... " . (٥)

(٣) الإمام ابن حزم : فَتَحتَ عنوان: الكلام علىٰ من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ، في كتابه (الفصل) قال: "اختلف النَّاس في حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم ... وذهب جمهور النَّاس إلىٰ أَنَّهم في الجنَّة ، وبه نقول"(٦) .

(٤) الإمام القرطبي: حيث قال بعد أن ذكر قول من قال بأَنَّهم في الجنَّة: "قلت: ذهب إلىٰ هذا جماعة من العلماء، وهو أصحُّ شيء في الباب، قالوا: أولاد المشركين إذا ماتوا صغاراً في الجنَّة ..." (٧).

(٥) الإمام تقي الدِّين السُّبكي: ففي رسالته (كل مولود يولد علىٰ الفطرة)، قال: "وأمَّا المختار في أطفال المشركين، وهو يتعلَّق بمعنىٰ الحديث (٨) أيضاً، فاعلم أنَّ للعلماء في أطفال المشركين أربعة أقوال: أحدهما -وهو الذي يُرجىٰ من فضل الله- أنَّهم في الجنَّة..." (٩) .

(٦) الإمام ابن حجر العسقلاني: إذ أنّه بعد أن ذكر أقوال العلماء في المسألة، عقّب علىٰ قول الإمام النَّووي بأنَّهم في الجنَّة ، وأنَّ هذا القول هو المذهب الصَّحيح المختار الذي صار إليه المحقِّقون، فقال: "وإذا كان لا يعذّب العاقل لكونه لم تبلغه الدَّعوة، فلأن لا يعذَّب غير العاقل من باب الأولىٰ" (١٠) .

(٧) الإمام الألوسي: فقد ذكر في تفسيره أنَّه : "ذهب المحقِّقون إلىٰ أنَّهم من أهل الجنَّة، وهو الصَّحيح..." (١١) .

وقد استدلَّ القائلون بأنَّ أطفال المشركين في الجنَّة بالأدلَّة التَّالية:

أَوَّلاً : قوله تعالىٰ: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

ووجه الدّلالة من الآية: أنَّ الله تعالىٰ نفىٰ حصول العذاب إلَّا بعد إرسال الرُّسل الذين هم حجَّة الله علىٰ خلقه، ومن المعلوم أنَّ الأطفال الذين ماتوا دون البلوغ ليسوا بمكلَّفين، وأنَّ تكليفهم مع عدم القدرة علىٰ القيام بواجبات التَّكليف يعتبر تكليفاً بما لا يُطاق، قال الإمام النَّووي بعد أن استدلَّ بالآية علىٰ نجاة أطفال المشركين: "ولا يتوجَّه علىٰ المولود التَّكليف ويلزمه قول الرَّسول حتىٰ يبلغ، وهذا متَّفق عليه" (١٢) . والله تعالىٰ يقول : **﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾** [البقرة: ٢٨٦] .

وقد أوضح الإمام الألوسي في تفسيره أنّ الآية: "أفادت أن لا تعذيب قبل التَّكليف، ولا يتوجَّه علىٰ المولود تكليف ويلزمه قول الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام حتىٰ يبلغ" (١٣) .

والعذاب الذي أشارت إليه الآية، عامّ في الدُّنيا والآخرة ... قال الإمام الشَّوكاني: "والظَّاهر أنَّه لا يعذّبهم لا في الدُّنيا ولا في الآخرة إلَّا بعد الإعذار إليهم بإرسال الُّرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم"(١٤) .

قلت: ومن العلماء الذين أشاروا إلى أنَّ نفي التعذيب الوارد في الآية يشمل الدُّنيا والآخرة: الإمام ابن عطيَّة (١٥) ، الإمام القرطبي(١٦) ، الإمام أبو حيَّان (١٧) ، الإمام الكلبي(١٨) ، وغيرهم كثير ...

ثَانِياً : قوله تعالىٰ: **﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [النمل: ٩٠] ، وقوله : **﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف: ٤٩] ، وقوله: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٨١] .

والآيات الكريمة تشير إلىٰ أنَّ الإنسان سيُحاسب بناء علىٰ عمله إن خيراً فخير وإن شرَّاً فشرَّ، وغير البالغ لا عمل يحاسب عليه ، لأنَّ قلم المؤاخذة مرفوع عنه، حتىٰ يبلغ ، لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ "، وَقَدْ قَالَ حَمَّادٌ: " وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ " (١٩) .

وهذا بعكس قلم الثَّواب، فإنَّه يجري للثَّلاثة الذين ذكرهم الحديث السَّابق، ومن الأدلَّة علىٰ ذلك ما رواه الإمام مسلم عن ابن عبَّاس، رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»(٢٠) .

وأمّا عن جريان الأجر للنائم، فلما روته عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «مَا مِنَ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ» (٢١) .

بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عبّاس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنّة؟ قلت: بلىٰ، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: إني أصرع، وإني أتكشّف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنّة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشّف، فادع الله أن لا أتكشّف، فدعا لها"(٢٢) .

(١) روىٰ الشَّيخان بسندهما عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، قال: كان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني- ممَّا يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأىٰ أحد منكم رؤيا". قال: فيقصُّ عليه من شاء أن يقص، وإنَّه قال ذات غداة: "إنَّه أتاني آتيان ... وفيه: وأمّا الرجل الطويل الذي في

الروضة فإنّه إبراهيم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمَّا الولدان الذين حوله فكلُّ مولود مات على الفطرة. قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال: وأولاد المشركين ..." (٢٣) .

والحديث ينصُّ بصراحة على أنَّ أطفال المشركين في الجنَّة ...

قال الحافظ ابن حجر: "وأولاد المشركين" تقدم البحث فيه مستوفى في أواخر الجنائز(٢٤) ، وظاهره أنَّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألحقهم بأولاد المسلمين في حكم الآخرة ..." (٢٥) . قلت: وقد اتَّفق الجميع على نجاة أطفال المسلمين، من غير نكير ...

وقال السُّبكي بعد أن رجَّح هذا المذهب: "ووردت أحاديث أخرى مصرِّحة بأنَّهم في الجنَّة، لكن في أسانيدها ضعف، وفي حديث البخاري كفاية مع ظاهر القرآن ..." (٢٦) .

(٢) روى الشيخان بسندهما عن ابن عبَّاس رضي الله عنه ، قال: سئل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أولاد المشركين، فقال: "الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين"(٢٧) .

والمفهوم من قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الله أعلم بما كانوا عاملين" أي: إذا بلغوا سنَّ التَّكليف وأصبحوا مكلَّفين، أمّا إذا لم يبلغوا سنَّ التَّكليف فليسوا بمكلفين، وبالتَّالي فهم في الجنَّة، وهذا الفهم هو ما قال به العلماء أصحاب الشَّأن ....

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "الله أعلم" قال ابن قتيبة: معنى قوله: "بما كانوا عاملين" أي لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء. وقال غيره: أي علم أنَّهم لا يعملون شيئاً، ولا يرجعون فيعملون، أو أخبر بعلم شيء لو وجد كيف يكون، مثل قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ [الأنعام: ٢٨] ، ولكن لم يرد أنَّهم يجازون بذلك في الآخرة لأنَّ العبد لا يجازى بما لم يعمل"(٢٨) .

وقال الإمام النَّووي: "وفي قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الله أعلم بما كانوا عاملين" بيان لمذهب أهل الحقّ: " أنّ الله علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون"(٢٩) .

وقال الألوسي: "وحقيقة لفظة" "الله أعلم بما كانوا عاملين" لو بلغوا ولم يبلغوا، والتَّكليف لا يكون إلا بالبلوغ"(٣٠) .

(٣) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سألت ربِّي عن اللاهين من ذرّيَّة البشر أن لا يعذِّبهم فأعطانيهم"(٣١) .

قال الحافظ ابن حجر: "وورد تفسير اللاهين بأنَّهم الأطفال من حديث ابن عبَّاس مرفوعاً، أخرجه البزَّار"(٣٢) .

قلت: والحديث المشار إليه رواه ابن عبَّاس، قال: كان رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض مغازيه فقال رجل: يا رسول الله، ما تقول في اللاهين؟ قال: فسكت عنه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرد عليه كلمة، فلمَّا فرغ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوه وظهر عليهم ، إذا هو بصبيّ قد وقع من منص له ، فإذا هو يبحث في الأرض، فنادىٰ منادي : "أين السَّائل " فأقبل الرَّجل حتَّىٰ أتىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنهىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قتل الأطفال، ثمَّ قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين "(٣٣) .

وقال القرطبي: "قال أبو عمر: "إنَّما قيل للأطفال: اللاهين، لأنَّ أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم، من قولهم: لهيت عن الشَّيء، أي: لم أعتقده، كقولهم: ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] (٣٤) .

(٤) وعن خنساء بنت معاوية –من بني صريم– قالت حدَّثنا عمّي، قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنَّة؟ قال: النّبي في الجنَّة، والشَّهيد في الجنَّة، والمولود في الجنَّة"(٣٥) .

والحديث ينصُّ بصراحة علىٰ أنَّ المولود في الجنَّة، بغضِّ النَّظر عن والديه مسلمين أو مشركين ...

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما من مولود إلَّا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تُنتبح البهيمة جمعاء، هي تحسُّون فيها من جدعاء". ثمَّ يقول أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] (٣٦) .

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق الإنسان علىٰ فطرة سويّة، وإذا مات الإنسان قبل أن يهوّده أبواه أو ينصّراه أو يمجّساه، كان ناجياً ودخل الجنّة.

وقد اختلف العلماء في معنىٰ الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها، علىٰ عدّة أقوال، أشهرها:

(أ) " أنَّ المراد بالفطرة: الطَّبع السَّليم المتهيِّئ لقبول الدِّين، وذلك من إطلاق القابل علىٰ المقبول(٣٧) . فالفطرة هي الخلقة، يقال: فَطَرهُ، أي : خلقه. وخلقة الآدمي فرع من ذلك، وتهيؤها لقبول الدِّين وصف لها. فهذه ثلاث مراتب وذلك المقبول –وهو الدِّين– أمر رابع، فاسم الفطرة أُطلق غلبة، وكأنَّه قال: مولود يولد مسلماً بالقوَّة(٣٨) ، لأنّ الدِّين وهو الإسلام حقّ مقارب للعقل غير ناء عنه، وكلّ مولود خلق علىٰ قبول ذلك ، وما ركزه الله فيه من العقل لو ترك لاستمرَّ علىٰ لزوم ذلك ولم يفارقه ..."(٣٩) .

قال الحافظ أبو حيَّان: "ورجّح الحذّاق أنَّها القابليَّة التي في الطِّفل للنَّظر في مصنوعات الله والاستدلال بها علىٰ موجده ، فيؤمن به ويتبع شرائعه، لكن قد تعرض له عوارض تصرفه عن ذلك، كتهويد أبويه له، وتنصيرهما وإغواء شياطين الإنس والجن"(٤٠) .

قال الإمام السبكي عن هذا القول: "وهذا القول الذي نختاره، وعليه أكثر العلماء"(٤١) .

ونقل الإمام القرطبي عن الحافظ ابن عبد البر أنَّه قال عن هذا القول: "هذا أصحّ ما قيل في معنىٰ الفطرة التي يولد النَّاس عليها"(٤٢) .

قال القرطبي: "وإلىٰ ما اختاره أبو عمر(٤٣) واحتجّ له، ذهب غير واحد من المحقّقين، منهم: ابن عطيّة في تفسيره في معنىٰ الفطرة(٤٤) ، وشيخنا أبو العبّاس(٤٥) . قال ابن عطيّة: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة : أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدّة، ومهيّأة لأن يميّز بها مصنوعات الله تعالىٰ، ويستدلّ بها علىٰ ربِّه ويعرف شرائعه ويؤمن به؛ فكأنَّه تعالىٰ قال: أقم وجهك للدِّين الذي هو الحنيف، وهو فطرة الله الذي علىٰ الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض ... وقال شيخنا في عبارته: إنَّ الله خلق قلوب بني آدم مؤهَّلة لقبول الحقّ،

كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيَّات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهليَّة أدركت الحقّ ودين الإسلام وهو دين الحقّ "(٤٦).

ونقل الحافظ ابن حجر عن الطيبي في معنى الفطرة أنَّه قال: "والمراد تمكّن النَّاس من الهدى في أصل الجبلة، والتَّهيّؤ لقبول الدِّين، فلو ترك المرء عليها لاستمرّ على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، لأنَّ حسن هذا الدِّين ثابت في النُّفوس، وإنَّما يعدل عنه لآفة من الآفات البشريَّة كالتَّقليد".

قال الحافظ: "وإلى هذا (٤٧) مال القرطبي في "المفهم" فقال: المعنى أنَّ الله خلق قلوب بني آدم مؤهَّلة لقبول الحقّ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيَّات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهليَّة أدركت الحقّ، ودين الإسلام هو الدِّين الحقّ. وقد دلَّ على هذا المعنى بقيّة الحديث حيث قال: "كما تنتج البهيمة"(٤٨)، يعني أنّ البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنَّهم تصرّفوا فيه بقطع أُذنه مثلاً، فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع، ووجهه واضح، والله أعلم"(٤٩).

قلت: ومن العلماء الذين اختاروا هذا القول: الزَّمخشري(٥٠)، القرطبي(٥١)، البيضاوي(٥٢)، أبو حيَّان(٥٣)، الثَّعالبي(٥٤)، البقاعي(٥٥)، أبو السُّعود(٥٦)، الألوسي(٥٧)، ابن عاشور(٥٨)، وغيرهم...

وقد استدلّ أصحاب هذا القول بالأدلَّة التَّالية:

(١) قوله تعالى: **﴿إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [التحريم: ٧]، وقوله تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** [المدثر: ٣٨]، ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء(٥٩).

(٢) وقوله تعالى: **﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥]. وقد سبق بيان وجه الدّلالة من هذه الآية....

(٣) وقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل: ٧٨]. والآية نصٌّ صريح في أنَّ الإنسان حين يولد لا

يفقه شيئاً، لا كفر ولا إيمان، إنَّما يولد مجهَّزاً بالوسائل التي من خلالها يكتسب المعلومات التي تكتسب بالسَّمع والبصر والعقل ...

(٤) لو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر أو الإيمان في أوَّليَّة أمورهم ما انتقلوا عنه أبداً، وقد نجدهم يؤمنون ثمَّ يكفرون"(٦٠) . ولو فطروا على الإيمان لما استطاعوا تغيير ما فطرهم الله عليه لقوله تعالى في آية الفطرة : ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] .

أ- أنّ الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم عليها، أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنّه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ. قالوا: والفطرة في كلام العرب: البداءة، والفاطر: المبتدئ، واحتجوا بما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: لم أكن أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي : ابتدأتها(٦١) . قال المروزي: كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثمَّ تركه. قال أبو عمر في كتاب التمهيد له: ما رسمه مالك في موطّئه وذكر في باب القدر(٦٢) فيه من الآثار، يدلّ على أنّ مذهبه في ذلك نحو هذا، والله أعلم(٦٣) . ونسب الحافظ ابن حجر هذا القول لابن المبارك(٦٤) .

ومعنى هذا الكلام أنّ كل مولود ولد على ما يعلم الله أنّه يصير إليه خاتمة أمره(٦٥) .

ومن أهم الأدلّة التي استدلّ بها أصحاب هذا القول:

قوله تعالى: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠] .

قالوا: من ابتدأ الله خلقه للضَّلالة صيّره إلى الضَّلالة، وإن عمل بأعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيَّره إلى الهدى، وإن عمل بأعمال الضّلالة، ابتدأ خلق إبليس على الضّلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة، ثمَّ ردّه الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه، قال: وكان من الكافرين(٦٦) .

والحقّ أنّ تفسير الآية بالمعنىٰ الذي ذهب إليه أصحاب هذا القول تفسير غريب مجانب للصّواب ولما عليه جمهور المفسّرين الذين ذهبوا إلىٰ أنّ المراد بالبدء إنما هو بدء الخلق، وبالإعادة إعادة الخلق يوم القيامة..."(٦٧) .

قال الإمام الطبري بعد أن ذكر أقوال العلماء في الآية: "وأولىٰ الأقوال في تأويل ذلك بالصّواب، القول الذي قاله من قال معناه: كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله، يحشركم إلىٰ يوم القيامة، لأنّ الله تعالىٰ أمر نبيّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعلم بما في هذه الآية قوماً مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالميعاد ولا يصدّقون بالقيامة، فأمره أن يدعوهم إلىٰ الإقرار بأنّ الله باعثهم يوم القيامة ومُثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه، فقال له: قل لهم: أمر ربي بالقسط، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وأن ادعوه مخلصين له الدين، وأن أقرّوا بأن : كما بدأكم تعودون ... علىٰ أنّ في الخبر الذي روي عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حدّثناه محمد بن بشّار، قال: ثنا يحيىٰ بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثني المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس عن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: " يُحشر النَّاس عُراة غرلاً، وأوّل من يُكسىٰ : إبراهيم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ قرأ **﴿كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] ... ما يبيّن صحَّة القول الذي قلنا في ذلك، من أنّ معناه: أنّ الخلق يعودون إلىٰ الله يوم القيامة، خلقاً أحياء كما بدأهم في الدُّنيا خلقاً أحياء ..." (٦٩) .

وهذا التفسير هو المروي عن طائفة من السّلف، منهم: ابن عبّاس، الحسن، مجاهد، قتادة، ابن زيد، الربيع بن أنس(٧٠) .

ومما يعضد تفسير الآية ببدء الخلق وإعادته يوم القيامة: أنّ لهذه الآية نظائر عديدة في كتاب الله تعالىٰ، من ذلك قوله تعالىٰ: **﴿وهو الذي يَبدَؤا الخلق ثمَّ يعيدُه﴾** [الروم: ٢٧] ، وقوله: **﴿الله يَبدَؤا الخلق ثمَّ يُعيده﴾** [الروم: ١١] ، وقوله: **﴿هل من شُركائكُم مَن يَبدَؤا الخلق ثمَّ يُعيدُه﴾** [يونس: ٣٤] ، وقوله: **﴿إليه مرجِعكم جميعاً وعدَ الله حقاً إنّه يبدَؤا الخلق ثمَّ يعيدُه﴾** [يونس: ٤] ، وقوله **﴿إنّه هو**

يُبدِئُ ويعيد﴾ [البروج: ١٣] ، وقوله: **﴿كما بدَأنا أوّل خلقٍ نُعيدُه وعداً علينا إنّا كنّـا فـاعلينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤] .

وعليه، فالاحتجاج بالآية علىٰ ما أرادوه ضعيف، وأنّ المراد بالآية : التدليل علىٰ صحّة البعث بعد الموت، ذلك أنّ القادر علىٰ البدء قادر علىٰ الإعادة...

وأمّا احتجاجهم بقول ابن عبّاس رضي الله عنه : لم أدر ما فاطر السموات والأرض، حتىٰ أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها... (٧١) .

فالحق أنّ الأثر ضعيف عن ابن عبّاس، ففي سنده إليه:

إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي، أبو اسحق الكوفي: قال يحيىٰ بن القطان: لم يكن بقوي. وقال عبّاس عن يحيىٰ: ضعيف. وقال العجلي: جائز الحديث، وقال النسائي في الكنىٰ: ليس بقوي في الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه في الضعفاء. وقال النسائي في التمييز: ليس بالقوي، وقال ابن حبّان في الضعفاء: هو كثير الخطأ. وقال الحاكم: قلت للدارقطني: فإبراهيم بن مهاجر؟ قال: ضعّفوه، تكلم فيه يحيىٰ بن سعيد وغيره. قلت: بحجة ؟ قال: بلىٰ ، حدَّث بأحاديث لا يُتابع عليها، وقد غمزه شعبة أيضاً، وقال يعقوب بن سفيان: له شرف، وفي حديثه لين. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي ... يكتب حديثه ولا يحتجّ به. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: قلت لأبي: ما معنىٰ لا يحتجّ بحديثهم؟ قال: كانوا قوماً لا يحفظون فيحدثون بما لا يحفظون فيغلطون، ترىٰ في أحاديثهم اضطراباً ما شئت(٧٢) .

وعليه فالأثر ضعيف، ولو صحّ لم يكن فيه حجّة ، لأنه اقتصر علىٰ بيان معنىٰ الفَطْر لغة، من غير أن يتعرّض لمعناه الشّرعي المراد بقوله تعالىٰ: (فِطرت الله التي فَطَر النَّاس عليها) [الروم: ٣٠] فبطل الاحتجاج به .

ولذلك تعقّب الحافظ ابن حجر هذا القول بأنّه لو كان معنىٰ الفطرة ما ذهبوا إليه لم يكن لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فأبواه يهوّدانه ... الخ" معنىٰ، لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها، فينافي التمثيل بحال البهيمة... (٧٣) .

ب- أنّ الفطرة هي الإسلام، قال الحافظ ابن حجر: "وأشهر الأقوال أنّ المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السّلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿فِطرت الله التي فَطَرَ النَّاس عليها﴾ [الروم: ٣٠] : الإسلام(٧٤) .

وقال القرطبي: "قاله – أي أنّ الفطرة هي الإسلام- أبو هريرة ، وابن شهاب ، وغيرهما، قالوا: وهو المعروف عند عامّة السّلف من أهل التأويل"(٧٥) .

والأدلّة التي استدلّ بها أصحاب هذا القول، هي:

(١) قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ [الروم: ٣٠] .

ووجه الاستدلال بهذه الآية على أنّ المراد بالفطرة دين الإسلام هو أنّ المولى سبحانه وتعالى طلب أن تسدّد الوجوه لطاعته، وعبادته وأن يتبع الإسلام الذي هو فطرة الله تعالى.

قالوا: ومما يعضد هذا الاستدلال أنّ أبا هريرة أدرج الآية السابقة بعد روايته لحديث: "كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث، وأيضاً روي هذا الفهم عن ابن زيد، ومجاهد، وابن شهاب، وغيرهم(٧٦) .

قالوا: وما يعضد هذا الفهم أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى في آخر الآية: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ، فقد ذهب مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحّاك ، وإبراهيم النخعي ، وعكرمة ، وابن زيد، وغيرهم ، إلى القول بأنّ المقصود هو دين الله(٧٧) .

(٢) وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء. ثمَّ يقول أبو هريرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ ... الآية) (٧٨) [الروم: ٣٠] .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث على أنّ الفطرة هي الإسلام هو أنّ الحديث روي بألفاظ يفسّر بعضها بعضاً، ففي صحيح مسلم من رواية الأعمش: "ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة"، وفي رواية ابن معاوية: "إلا على هذه الملة حتى يبين عنها لسانُه"(٧٩) .

قالوا: فهذا صريح بأنّه يولد على ملّة الإسلام ، كما فسّره ابن شهاب راوي الحديث. واستشهاد أبي هريرة بالآية يدلّ على ذلك. قال ابن عبد البر: وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزئ أن يعتقه وهو رضيع؟ قال: نعم لأنّه وُلد على الفطرة(٨٠) .

قلت: ليس بالضرورة أن يكون المراد بالملّة دين الإسلام، إذ تطلق الملّة على مُعظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل، كما ذكر ابن الأثير ... (٨١) .

(٣) وقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالى أنّه قال: "خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطانا ... الحديث"(٨٢) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث : هو أنّ الله تعالى خلق العباد على الحنيفيّة السمحاء، وأنّ الشّياطين استخفّوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عمّا كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل والبهتان فحرفوهم عمّا خُلقوا عليه من الحنيفيّة، والحنيف في كلام العرب هو المستقيم: ولا استقامة أكثر وأفضل من الإسلام.

(٤) وقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عشر من الفطرة: قص الشَّارب، وإعفاء اللحية، والسِّواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء"، قال زكريًّا (٨٣) : قال مصعب (٨٤) : ونسيت العاشرة، إلَّا أن يكون المضمضة" (٨٥) .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث هو أنَّ الأمور السَّابقة المذكورة فيه هي ممَّا جاء به الإسلام.

قالوا: فكأنَّ الحديث يقول: عشر من الإسلام ....

هذه هي أشهر الأدلَّة التي استدلَّ بها من ذهب إلى أنَّ المقصود بالفطرة إنَّما هو دين الإسلام ...

والحقّ أنَّ القولين الأخيرين لا يتنافيا مع القول الأوَّل، وهو تفسير الفطرة بالطَّبع السَّليم المتهيِّئ لقبول الدِّين الحقّ، وذلك أنَّ الذين فسَّروا الفطرة بالإسلام، لم يقصدوا أنَّ الولد يولد عالماً بالدِّين وأحكامه، وإنَّما قصدوا أنَّ الفطرة تستلزم المعرفة بالله تعالى، وتوصل إليها، فالتَّهيئة

لقبول الدِّين الحقّ موجودة عند النَّاس وهم مفطورون إليها، وهذا هو نفس المعنىٰ الـذي أشـار إليه أصحاب القول الأَوَّلُ ...

وقد نقل الحافظ ابن حجر عقب كلام الإمام أحمد بن عمر القرطبي السَّـابق، كـلام الإمـام ابـن القيّم الذي يشير إلىٰ فحوىٰ كلامه، فقال: " وَقَالَ بن الْقَيِّم (٨٦) : لَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : "يُولَدُ عَلَـىٰ الْفِطْرَةِ" أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَعْلَمُ الدِّينَ ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَنَّ فِطْرَتَهُ مُقْتَضِيَةٌ لِمَعْرِفَةِ دِيـنِ الْإِسْـلَامِ وَمَحَبَّتِـهِ ، فَـنَفْسُ الْفِطْـرَةِ تَسْتَلْزِمُ الْإِقْرَارَ وَالْمَحَبَّةَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ قَبُولِ الْفِطْرَةِ لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَهْوِيـدِ الْأَبَـوَيْنِ مَثَلًا بِحَيْثُ يُخْرِجَانِ الْفِطْرَةَ عَنِ الْقَبُولِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ : أَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ إِقْرَارِهِ بِالرُّبُوبِيَّـةِ ، فَلَوْ خُلِّيَ وَعَدَمُ الْمُعَارِضِ لَمْ يَعْدِلْ عَنْ ذَلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، كَمَا أَنَّهُ يُولَدُ عَلَىٰ مَحَبَّةِ مَا يُلَائِمُ بَدَنَهُ مِنِ ارْتِضَاعِ اللَّبَنِ حَتَّىٰ يَصْرِفَهُ عَنْهُ الصَّارِفُ ، وَمِنْ ثَمَّ شُبِّهَتِ الْفِطْرَةُ بِاللَّبَنِ بَلْ كَانَتْ إِيَّـاهُ فِـي تَأْوِيـلِ الرُّؤْيَا ، وَاللَّهُ أعلم"(٨٧) .

وعلىٰ كلِّ حال فإنَّ الطِّفل أياً كان والده إذا مات قبل أن يهوِّده أبواه أو ينصِّـراه أو يمجِّسـاه كـان ناجياً، مع التَّأكيد علىٰ أنَّ قلم التَّكليف لا يجري عليه إلَّا بعد البلوغ،...

المَبْحَثُ الثَّانِي

أَنَّهُم يُمْتَحَنُوْنَ فِي الآخِرَة

ذهب إلىٰ هذا القول الإمام ابن تيميّة وتلميذه الإمام ابن القيّم (٨٨)، وحاصله أنَّه تؤجَّج لهم نار يوم القيامة ثمَّ يقال: رِدُوها وادخلوها، فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيَّاً لو أدرك العمل، فيقول الله عزَّ وجلَّ: "إيَّاي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم" رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٨٩).

ومن النَّاس من يوقفه علىٰ أبي سعيد، وروي معناه أيضاً من حديث أنس ومن حديث معاذ بن جبل، ومن حديث الأسود بن سريع، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث ثوبان كلُّهم عن النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر عبد الحقّ(٩٠) في الكافية حديث الأسود بن سريع، ومن حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسانيدها صالحة، لكن قال ابن عبد البرّ: ليس من أحاديث الأئمَّة الفقهاء، وهو أصل عظيم، والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف في العلم والنَّظر، مع أنَّه قد عارضها ما هو أقوىٰ محيًّا منها. وقال الحليمي: ليس هذا الحديث بثابت وهو مخالف لأصول المسلمين لأنَّ الآخرة ليست بدار امتحان، فإنَّ المعرفة بالله فيها تكون ضروريَّة ولا محنة مع الضَّرورة، وسائر الَّطاعات تبعاً للمعرفة، فإن وقع الامتحان بالمعرفة وقع فيما وراءها، وإذا سقط الامتحان فيها لم يثبت فيما وراءها، ولأنَّ دلائل الشَّرع استقرَّت علىٰ أنَّ التَّخليد في النَّار لا يكون إلَّا علىٰ الشِّرك، وامتناع الصِّغار في الآخرة من دخول النَّار المؤجَّجة ليس بشرك، وهو الذي قاله الحليمي" (٩١).

وقال الإمام ابن عطيَّة في تعليقه علىٰ الحديث السَّابق: "حديث لم يصح ولا يقتضيه ما تعطيه الشَّريعة من أنَّ الآخرة ليست دار تكليف" (٩٢).

قلنا: ما قاله ابن عبد البر والحليمي حقّ، -فدار الآخرة ليست بدار تكليف، إنَّما هي دار جزاء لا تكليف فيها، وقد قال الله تعالىٰ: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ**

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، فأخبر الله تعالىٰ أنَّه بعد ظهور الآيات يبطل الاختبار والأعمال، والحديث الذي استشهد به من قال بهذا القول روي من عدَّة طرق كلُّها ضعيفة، ولهذا لا يصلح للاستشهاد، مع أنَّه مخالف للأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة بنجاتهم، علىٰ ما تقدَّم.

أمَّا من استدلَّ علىٰ التَّكليف في عرصات القيامة بقوله تعالىٰ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] ، فجوابه : أنَّ ذلك لا يكون علىٰ سبيل التَّكليف، بل علىٰ سبيل التَّقريع والتَّخجيل والتَّعنيف علىٰ تركهم السُّجود في الدُّنيا –علىٰ ما تقدَّم– ثمَّ إنَّه حال ما يدعوهم إلىٰ السُّجود يسلب عنهم القدرة علىٰ السُّجود، ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتىٰ تزداد حسرتهم وندامتهم علىٰ ما فرَّطوا حين دعوا إلىٰ السُّجود وهم سالموا الأطراف والمفاصل(٩٣) .

وبهذا يتميَّز المؤمن عن غيره تميُّز تشريف، ويفتضح الكافر ويبين، وقد جاء في صحيح مسلم قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ"(٩٤) .

قال الإمام النَّووي: " هَذَا السُّجُودُ امْتِحَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فلا يستطيعون﴾ عَلَىٰ جَوَازِ تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ ، فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ دَارَ تَكْلِيفٍ بِالسُّجُودِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ امْتِحَانُهُمْ "(٩٥) .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ
أَنَّهُمْ فِي النَّار تَبَعَاً لآبَائِهِم

ذهب إلىٰ هذا المذهب القاضي أبو يعلىٰ، وغيره، وذكر أنَّه منصوص عن أحمد، وهو غلط علىٰ أحمد (٩٦) ، ونسب النَّووي هذا القول إلىٰ الأكثرين ، وفي هذه النِّسبة نظر (٩٧) ، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج (٩٨) ، واختار ذلك أبو الفرج بن الجوزي، وغيره (٩٩) .

واستدلَّ أصحاب هذا القول بالآتي:

(١) قوله تعالىٰ: **﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً﴾** [نوح: ٢٦] ، ووجه الدّلالة من الآية أنّ الآية لم تستثن الأطفال بل حكمت بكفرهم. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنَّ الإمام ابن حزم تعقَّب هذا القول بأنَّ المراد قوم نوح خاصَّة، وإنما دعا بذلك لما أوحىٰ الله إليه: **﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾** [هود: ٣٦] (١٠٠) .

(٢) وروىٰ الشَّيخان بسندهما عن الصَّعب بن جثامة قال: سئل النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الذَّراري من المشركين؟ يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم، فقال: هم منهم"(١٠١) .

ووجه الدّلالة أنَّ الحديث جعل الأبناء في حكم الآباء ....

وردّ هذا الكلام الحافظ ابن حجر فقال: "وأمَّا حديث (هم من آبائهم أو منهم)، فذاك في حكم الحربي"(١٠٢) .

وقال في موضع آخر: "وليس المراد إباحة قتلهم بطريق القصد إليهم، بل المراد إذا لم يمكن الوصول إلىٰ الآباء إلَّا بوطء الذُّريَّة، فإذا أصيبوا لاختلاطهم بهم جاز قتلهم ... واتَّفق الجميع كما نقل ابن بطَّال وغيره علىٰ منع القصد إلىٰ قتل النِّساء والولدان، أمَّا النِّساء فلضعفهن، وأمَّا الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر..." (١٠٣) .

وفي تعليقه علىٰ الحديث قال الإمام النَّووي: "وفي الحديث دليل لجواز البيات (١٠٤) ، وجواز الإغارة علىٰ من بلغتهم الدَّعوة من غير إعلامهم بذلك. وفيه أنَّ أولاد الكفَّار حكمهم في الدُّنيا

حكم آبائهم، وأمّا في الآخرة ففيهم إذا ماتوا قبل البلوغ ثلاثة مذاهب، الصَّحيح أنَّهم في الجنَّة..." (١٠٥).

(٣) وروىٰ أحمد بن حنبل بسنده عن سلمة بن زيد الجعفي، قال: أتيت رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا وأخي، فقلنا: يا رسول الله، إنَّ أُمَنا ماتت في الجاهلية –وفيه إنَّ أمّنا وأدتْ أختاً لنا في الجاهليَّة لم تبلغ الحنث– فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيتم الوائدة والموؤدة فإنَّهما في النَّار إلَّا أن يدرك الوائدة الإسلام فتسلم فيغفر الله لها"(١٠٦).

ووجه الدلالة من الحديث: أنّ الموؤدة لم تبلغ الحنث ومع ذلك حكم النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّها في النَّار ...

قال الإمام السُّبكي في الرَّدّ علىٰ الاستشهاد بهذا الحديث: "إن لم يكن لهذا الحديث علَّة يحتاج إلىٰ جواب آخر، وقد قيل: لعلَّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطَّلع علىٰ أنَّ تلك الموؤدة بلغت سنَّ التَّكليف وكفرت ولم يلتفت إلىٰ قول السَّائل (لم تبلغ الحنث) لجهله، ويكون التَّكليف فيه منوطاً بالتَّمييز، والسَّائل بجهله، وليس ذلك من الأمور المحتاج إليها حتىٰ يبيّنها له"(١٠٧).

(٤) وروىٰ أحمد أيضاً بسنده عن أبي عقيل عن بُهيّة عن عائشة صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّها ذكرت لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطفال المشركين، فقال: إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النَّار"(١٠٨).

والحديث لا يصحُّ، ففي سنده أبو عقيل يحيىٰ بن المتوكِّل ...

قال أحمد بن أبي يحيىٰ عن أحمد بن حنبل: أحاديثه عن بُهيّة عن عائشة منكرة وما روىٰ عنها إلَّا هو، وهو واهي الحديث، وعن يحيىٰ بن معين قال: أبو عقيل الذي روىٰ عن بُهيّة ضعيف، وقال عبَّاس الدُّوري، عن يحيىٰ بن معين: ليس حديثه شيء. وعن الغلاّبي عن يحيىٰ بن معين: منكر الحديث. وقال إبراهيم الجوزجاني: أحاديثه منكرة، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ما يكتب حديثه، وقال النَّسائي: ضعيف. وقال ابن حبَّان: ينفرد بأشياء ليس لها أصول من حديث رسول

الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لا يرتاب الممعن في الصِّناعة أنَّها معمولة.... (١٠٩) . ولذلك حكم الإمام ابن تيميّة ببطلان الحديث على ما نقله عنه تلميذه الإمام ابن القيِّم (١١٠) .
وعليه فالحديث ضعيف جدّاً، لا يصلح للاحتجاج في هذا الأمر الخطير ...
(٥) وعن علي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: سألتْ خديجةُ النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ولدين ماتا لها في الجاهليَّة؟ فقال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هما في النَّار" قال: فلمَّا رأى الكراهية في وجهها قال: "لو رأيت مكانهما لأبغضتهما" قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: "في الجنَّة" ثمَّ قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ المسلمين وأولادهم في الجنَّة، وإن المشركين وأولادهم في النَّار" ثمَّ قرأ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** [الطور: ٢١] (١١١) .
والحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج لجهالة محمَّد بن عثمان كما قال الهيثمي وغيره. ولم أجد فيما بين يدي من المراجع من روى عن زاذان من اسمه محمَّد بن عثمان، ولا من ذكر أنَّ ممَّن روى عن محمَّد بن فضيل من اسمه محمَّد بن عثمان. ولذلك حكم بجهالته الإمام ابن القيِّم (١١٢) .
(٦) وروى الشَّيخان بسندهما عن أبي هريرة، عن النَّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَىٰ رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: - يَعْنِي - أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاَثًا، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ "(١١٣) .
ووجه الاستدلال بهذا الحديث على أنَّ أطفال المشركين في النَّار:
أنَّ قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ينشئ للنَّار من يشاء فيلقون فيها" قال فيه من ذهب هذا المذهب: لأن يدخل النَّار من ولد في الدُّنيا من أبوين كافرين أولى ...".

والحقّ أنَّ الحديث انقلب لفظة علىٰ بعض الرُّواة، قال الحافظ ابن حجر: "قال أبو الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أنَّ الله ينشئ للجنَّة خلقاً، وأمَّا النَّار فيضع فيها قَدَمه، قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنَّه ينشئ للنَّار خلقاً إلَّا هذا" (١١٤).

وقال أيضاً: "وقال جماعة من الأئمَّة أنَّ هذا الموضع مقلوب، وجزم الإمام ابن القيِّم بأنَّه غلط، واحتجَّ بأنَّ الله تعالىٰ أخبر أنَّ جهنَّم تمتلئ من إبليس وأتباعه (١١٥)، وكذا أنكر الرِّواية شيخنا البلقيني، واحتجَّ بقوله: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩]، ثمَّ قال: وحمْلهُ علىٰ أحجار تلقىٰ في النَّار أقرب من حمله علىٰ ذي روح يعذّب بغير ذنب..." (١١٦).

وقد جاء الحديث عند البخاري في كتاب التفسير بلفظ: " تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "(١١٧).

فهذه هي الرِّواية الصَّحيحة التي لا قلب فيها، أمَّا الرِّواية الأولىٰ فهي مقلوبة كما صرَّح العلماء أولي الشَّأن، ولذا فلا تصلح للاحتجاج....

وممَّا يبطل كونهم في النَّار قوله تعالىٰ: ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، والأطّفال ما كسبوا شيئاً، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٥-١٦]، والطفل لم يكذب ولم يتول...

وأيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾ [الأنعام: ١٦٤] دليل علىٰ نجاتهم وأنَّهم لا يؤاخذون بذنوب آبائهم، ومعنىٰ الآية: "أي لا تحمل نفس مذنبة، بل ولا غير مذنبة، ذنوب نفس أخرىٰ"(١١٨)، وبمعنىٰ آخر: لا تأثم نفس آثمة إثم نفس أخرىٰ، بل علىٰ كلِّ نفس إثمها، دون إثم

غيرها من الأنفس. وفي هذا قطع لأطماعهم الفارغة، إذ كانوا يزعمون أنَّهم إن لم يكونوا على الحقّ فالتَّبعة على أسلافهم الذين قلَّدوهم (١١٩) .

قال الرَّازي: "قال الجبَّائي: في الآية دلالة على أنَّه تعالى لا يعذِّب الأطفال بكفر آبائهم، وإلَّا لكان الطِّفل مؤاخذاً بذنب أبيه، وذلك على خلاف ظاهر الآية" (١٢٠) .

فإذا انضمَّ ما قدَّمناه هنا إلى ما ذكرناه من أدلَّة أصحاب القول الأَوَّلُ علمنا بطلان كونهم من أصحاب النَّار.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ
المَذَاهِبُ الأُخْرَى فِي مَصِيْرِهِم

ذكر العلماء أقوالاً أخرىٰ في مصير أطفال المشركين غير التي ذكرنا سابقاً، وتفصيل ذلك بالآتي:

أَوَّلاً: أَنَّهُمْ يَصِيْرُوْنَ تُرَاباً: ونسب هذا القول الحافظ ابن حجر لثمامة بن أشرس(١٢١). وهذا ممَّا لا حجَّة له، إنّما هو نوع ظنّ وتخرُّص، ذلك أنّ الذي يصير للتُّراب إنّما هي البهائم، وذلك بعد أن يُقاد للشَّاة الجلحاء من القرناء، ثمَّ يقال لها: كوني تراباً فتصير تراباً. وعندها يتمنَّىٰ الكافر أن لو كان حيواناً في الدُّنيا ليصير تراباً في الآخرة، وقد جاءت الإشارة في القرآن صريحة لهذا المصير، قال تعالىٰ: **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾** [النبأ: ٤٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَىٰ، قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا" (١٢٢).

وروىٰ مسلم والتِّرمذي وأحمد وغيرهم بإسنادهم عن أبي هريرة مرفوعاً: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» (١٢٣).

وروىٰ الطَّبري وغيره أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، كُلَّ دَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَإِنْسَانٍ، يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا. (١٢٤).

ثَانِيَاً: أَنَّهُمْ خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّة: ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢٥)، والبيهقي في الاعتقاد (١٢٦)، والقرطبي في التَّذكرة (١٢٧)، ولم ينسبوه لأحد ...

وحجَّة من قال بهذا القول، ما رواه الطَّبراني، والبزَّار، والطَّيالسي، وأبو يعلىٰ، وابن عبد البر وغيرهم عن سمرة مرفوعاً: "أولاد المشركين خدم أهل الجنَّة" (١٢٨).

والحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج، إذ السَّند فيه: عبّاد بن منصور: ضعيف، ضعَّفه غير واحد من العلماء. قال أبو حاتم: ضعيف يُكتب حديثه، وقال ابن معين: ليس حديثه بالقوي. وقال عبَّاس الدُّوري، وأبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيىٰ بن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ليِّن،

وقال أبو داود، عنده أحاديث فيها نكارة، وقال النَّسائي: ضعيف ليس بحجَّة، وقال في موضع آخر: ليس بالقويّ، وقال ابن حبَّان: كان مدلِّساً..." (١٢٩) .

وعن أنس، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الأطفال خدم أهل الجنَّة" (١٣٠) .

والحديث كسابقه ضعيف، علَّته: يزيد الرّقاشي : ضعَّفه غير واحد من العلماء، قال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان –أي يزيد– منكر الحديث، وقال معاوية بن صالح: عن يحيىٰ بن معين: ضعيف، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيىٰ بن معين: رجل صالح وليس حديثه بشيء.

وقال يعقوب بن سفيان: فيه ضعف. وقال أبو حاتم: كثير الرِّواية عن أنس بما فيه نظر ، وفي حديثه ضعف، وقال النَّسائي والحاكم أبو أحمد: متروك الحديث (١٣١) .

ثَالِثَاً: أَنَّهُمْ فِي مَشِيْئَةِ اللهِ تَعَالَى : وهو منقول عن حمّاد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، وإسحق بن راهويه، ونقله البيهقي في الاعتقاد عن الشَّافعي. قال ابن عبد البرّ: وهو مقتضىٰ صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسالة شيء منصوص عليه إلاّ أنَّ أصحابه صرَّحوا بأنَّ أطفال المسلمين في الجنَّة وأطفال الكفَّار خاصَّة في المشيئة، والحجَّة فيه حديث: "الله أعلمُ بما كانوا عَاملين" (١٣٢) . قال الإمام السُّبكي: "وهو دليل قويّ للتَّوقُّف" (١٣٣) .

قلت: وقد سبق القول بأنَّ معنىٰ قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الله أعلم بما كانوا عاملين"، أي: لو أبقاهم، فلا تحكموا عليهم بشيء، أو معناه: أنَّه تعالىٰ علم أنَّهم لا يعملون شيئاً ولا يرجعون فيعملون، أو أخبر بعلم شيء لو وجد كيف يكون، تماماً كقوله تعالىٰ: **﴿وَلَو رُدُّوا لَعَادُوا لمَا نُهُوا عَنْه﴾** [الأنعام: ٢٨] . ولكن لم يرد أنَّهم يجازون بذلك في الآخرة، لأنَّ الحقَّ سبحانه لا يجازي العبد بما لم يعمل، قال سبحانه وتعالىٰ: **﴿لَها مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾** [البقرة: ٢٨٦] ، والطِّفل لم يكتسب شيئاً يؤاخذ عليه، وبالتَّالي فحجَّة أصحاب هذا القول داحضة، خاصَّة إذا ما قيست بأدلَّة أصحاب القول الأَوَّلُ في مصير أبناء المشركين الذين ماتوا قبل البلوغ ...

رَابِعَاً: أَنَّهُم يَكُوْنُوْنَ فِي بَرْزَخٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّار : لأَنَّهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنَّة، ولا سيِّئات يدخلون بها النَّار، ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر، ولم ينسبه لأحد(١٣٤) . ولم أجد دليلاً يعضد هذا القول أو يحاجج عنه، بل هو نوع ظنّ ، والظنُّ لا يغني عن الحقِّ شيئاً.

خَامِسَاً: الوقف : حكاه الحافظ ابن حجر ولم ينسبه لأحد(١٣٥) .

سَادِسَاً: الإِمْسَاكُ عَنِ الخَوْضِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَة : نقل هذا القول الحافظ ابن حجر، فقال : "وفي الفرق بين الوقف والإمساك دقَّة " (١٣٦) ، ولم ينسبه لأحد. وقد ذهب الإمام تقيّ الدِّين السُّبكي إلىٰ كراهة الخوض في هذه المسألة، فقال في نهاية رسالته (كلُّ مولود يولد علىٰ الفطرة): "إنَّما تكلَّمت في هذه المسألة جواباً، وهي ممَّا لا أحبُّ الكلام فيه، لأنّه روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يزال أمر هذه الأمَّة موائماً أو قال: مقارباً ما لم يتكلَّموا في الولدان والقدَر"(١٣٧) . قال يحيىٰ بن آدم: فذكروه لابن المبارك فقال: فليسكت الإنسان علىٰ الجهل..." (١٣٨) .

قلنا: المنهي عنه في هذه المسألة هو التَّعمُّق في الأمور التي لا سبيل إلىٰ إدراكها، ذلك أنَّ القدر سرٌّ عظيم من أسرار الله تعالىٰ، لم يُطلع عليه مَلَكاً مقرَّباً ولا نبيَّاً مرسلاً، قال الإمام الطَّحاوي في عقيدته: "وأصل القدر سرُّ الله في خلقه، لم يطلع علىٰ ذلك مَلك مقرَّب، ولا نبيّ مرسل، والتَّعمُّق والنَّظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلَّم الحرمان، ودرجة الطُّغيان، فالحذر كلّ الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإنَّ الله تعالىٰ طوىٰ علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالىٰ في كتابه: **﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء: ٢٣] ، فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردَّ حُكم الكتاب، ومن ردَّ حُكم الكتاب كان من الكافرين"(١٣٩) . والولدان ومصيرهم مسألة لها ارتباط وثيق بالقدر، لذلك يجب الإمساك والتَّوقُّف علىٰ من لا علم له بالمسألة. أمَّا من لديه علم ببعض فروعها المتفرِّعة عنها فلا ضير عليه في الكلام فيها، خاصَّة بعد أن رأينا فحول العلماء وأساطينهم يتكلَّمون فيها. قال الإمام ابن حجر وهو يشرح باب ما قيل في أولاد المشركين من كتاب الجنائز: "قوله باب ما قيل في أولاد المشركين: هذه التَّرجمة تشعر أيضاً بأنّه(١٤٠) كان

متوقِّفاً في ذلك. وقد جزم بعد هذا في تفسير سورة الرُّوم بما يدلّ على اختيار القول الصَّائر إلى أنَّهم في الجنَّة ... وقد رتَّب أيضاً أحاديث هذا الباب ترتيباً يشير إلى المذهب المختار، فإنَّه صدَّره بالحديث الدَّالّ على التَّوقُّف، ثمَّ ثنَّى بالحديث المرجِّح لكونهم في الجنَّة، ثمَّ ثلَّث بالحديث المصرِّح بذلك، فإنَّ قوله في سياقه: "وأمَّا الصبيان حوله فأولاد النَّاس" قد أخرجه في التَّعبير بلفظ: "وأمَّا الولدان الذين حوله فكلُّ مولود يولد على الفطرة، فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال: وأولاد المشركين"(١٤١) .

ونقل ابن عابدين في حاشيته عن ابن الهمام قوله: "وقد اختلف في سؤال أطفال المشركين وفي دخولهم الجنَّة أو النَّار، فتردَّد أبو حنيفة وغيره، وقد وردت فيهم أخبار متعارضة، فالسَّبيل تفويض أمرهم إلى الله تعالى، وقال محمَّد بن الحسن: اعلم أنَّ الله لا يعذِّب أحداً بلا ذنب..." (١٤٢) .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

الخَاتِمَةُ

بعد هذا التِّطواف في جنبات ورياض كتب أهل العلم نخلص إلىٰ النَّتائج التَّالية:

(١) أنّ! العلماء اختلفوا في مصير أبناء المشركين الـذين مـاتوا دون سـنّ البلـوغ، وأنَّ الـرَّاجح والصَّحيح من أقوال المحقِّقين : أنَّهم في الجنَّة.

(٢) أنَّ الفطرة تعني: الطَّبع السَّليم المتهيّئ لقبول الدِّين، وأنـَّه لا خلاف بين من قال بهذا القـول وبين من ذهب إلىٰ أنَّ الفطرة تعني الدِّين، ذلك أنَّ الذين فسَّروا الفطرة بالإسلام، لم يقصـدوا أنَّ الولد يُولد عالماً بالدِّين وأحكامه، وإنَّما قصدوا : أنَّ الفطرة تستلزم المعرفة بالله تعالىٰ وتوصـل إليها، فالتَّهيئة لقبول الدِّين الحقّ موجودة عند النَّاس وهم مفطورون عليها ...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

الهَوَامِشُ

١. انظر صحيح البخاري (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م)، ص٢٦٨، كتاب الجنائز، باب رقم (٩٣).

٢. انظر صحيح البخاري، ص٩٣١، كتاب التفسير، باب ٣٠ (تفسير سورة الروم). وانظر كلام ابن حجر على الحديث في الفتح ٨/ ٥١٢-٥١٣(دار الفكر ، بيروت)

٣. أخرجه البخاري، ص٢٦٩ برقم ١٣٨٦، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، مسلم (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م)، ص٩٣٤ برقم ٢٢٧٥، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤. أخرجه البخاري، ص١٣٤٨ برقم ٧٠٤٧، كتاب التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

٥. صحيح مسلم بشرح النووي (مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت) ١٦/ ٢٠٧-٢٠٨.

٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل (ابن حزم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م) ٢/ ٣٨٠.

٧. كتاب التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (القرطبي ، دار المنهاج ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ) ٣/ ١٠٤٢، ٢/ ١٠٤٦، الجامع لأحكام القرآن (القرطبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت) ١٤/ ٣٠.

٨. يعني حديث (كل مولود يولد علىٰ الفطرة).

٩. كل مولود يولد علىٰ الفطرة (السبكي ، دار الصّحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٩٩٠م) ص٢٢.

١٠. فتح الباري ٣/ ٢٤٧، وانظر الفتح أيضاً ١٢/ ٤٤٥.

١١. روح المعاني (الألوسي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م) ٨/ ٣٦.

١٢. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢٠٨.

١٣. روح المعاني ٨/ ٣٥.
١٤. فتح القدير (الشوكاني ، دار ابن حزم ، ط١ ، ٢٠٠٠م) ص٩٨٩.
١٥. انظر المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ابن عطيّة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١، ١٩٩٣م) ٣/ ٤٤٤.
١٦. انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣١.
١٧. انظر البحر المحيط (أبو حيان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م) ٦/ ١٥.
١٨. انظر التسهيل لعلوم التنزيل (الكلبي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥ م) ١/ ٤٨٤.
١٩. أخرجه أحمد (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص١٨٣٦ برقم ٢٥٢٠١، أبو داود (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٤٨١ برقم ٤٣٩٨، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، ابن ماجه (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٢٢١ برقم ٢٠٤١، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، النسائي (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٣٦٢ برقم ٣٤٣٢، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، الحاكم في المستدرك (دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م) ١/ ٢٨٩ برقم ٩٤٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، ابن حبّان في صحيحه (مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٧م) ١/ ٣٥٥ برقم ١٤٢، وصحّح إسناده على شرط مسلم الشيخ شعيب في تخريجه لصحيح ابن حبّان.
٢٠. أخرجه مسلم ص٥٢٨ برقم ١٣٣٥، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت.
٢١. أخرجه النّسائي ص٢٠٥ برقم ١٧٨٤، كتاب قيام الليل، باب من كانت له صلاة بليل فغلبه عليها النوم، ابن عبد البر، في الاستذكار (ابن عبد البر ، مؤسّسة النداء ، ط٤ ، ٢٠٠٣م)

٢/ ٣٣٣ برقم ٢٧٢ وعزاه لمالك، وكذا عزاه لمالك الإمام الغماري في تخريجه لأحاديث التمهيد ١٢/ ٢٦١.

٢٢. أخرجه البخاري ص١١١٠ برقم ٥٦٥٢، كتاب المرض، باب فضل من يصرع من الريح، مسلم، ص١٠٣٩ برقم ٢٥٧٦، كتاب البر والصّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتىٰ الشوكة يشاكها، واللفظ له.

٢٣. أخرجه البخاري ص١٣٤٨ برقم ٤٠٤٧، كتاب التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد الصبح. وأخرجه بدون القطعة الأخيرة، مسلم، ص٩٣٤ برقم ٢٢٧٥، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٤. انظر فتح الباري ٣/ ٢٤-٢٤٧.

٢٥. انظر فتح الباري ١٢/ ٤٤٥.

٢٦. كل مولود يولد علىٰ الفطرة، ص٢٣.

٢٧. أخرجه البخاري ص٢٦٨ برقم ١٣٨٣، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، مسلم ص١٠٦٨ برقم ٢٦٦٠، كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

٢٨. فتح الباري ٣/ ٢٤٧.

٢٩. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢١١.

٣٠. روح المعاني ٨/ ٣٥ (عند تفسير الآية ١٥ من سورة الإسراء).

٣١. ذكره الهيثمي في المجمع (دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م) ٧/ ٣١٨ برقم ١١٩٥٤، وقال: رواه أبو يعلىٰ من طرق، ورجال أحدها رجال الصّحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة، وقال عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٤٦: إسناده حسن، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١١٧.

٣٢. فتح الباري ٣/ ٢٤٦، وانظر لسان العرب (ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت) ٣/ ٤٠٦، مادة: لها.

٣٣. أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٣٣٠ برقم (١١٩٠٦)، الأوسط (دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٩م) ١/ ٥٤٢ برقم ١٩٩٧، البزار كشف الأستار ٢/ ٣٢ برقم (٢١٧٣)، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٦ برقم ١١٩٤٥، وقال: رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه هلال بن خباب، وهو ثقة، وفيه خلاف، وبقيّة رجاله رجال الصّحيح.

٣٤. التذكرة ٣/ ١٠٤٣.

٣٥. أخرجه أحمد ص١٧٢٩ برقم ٢٣٨٧٢. والحديث حسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٤٦.

٣٦. أخرجه البخاري، ص٢٦٣ برقم ١٣٥٨، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلىٰ عليه، مسلم، ص١٦٠٧ برقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفّار وأطفال المسلمين، الترمذي (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٣٥٦ برقم ٢١٣٨، كتاب القدر، باب: ما جاء في كل مولود يولد علىٰ الفطرة، أبو داود (بيت الأفكار الدوليّة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٦م) ص٥١٤ برقم ٤٧١٧، كتاب السنة، باب: في ذراري المشركين، أحمد، ص٥٥٢ برقم ٧٦٩٨.

٣٧. القابل هو الطبع السّليم، والمقبول هو دين الله تعالىٰ.

٣٨. أي : مهيّأ لقبول الإسلام.

٣٩. كل مولود يولد علىٰ الفطرة ص١٦-١٧.

٤٠. البحر المحيط ٧/ ١٦٧.

٤١. كل مولود يولد علىٰ الفطرة، ص١٦.

٤٢. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٨.

٤٣. يعني ابن عبد البر.

٤٤. انظر المحرّر الوجيز لابن عطيّة ٤/ ٣٣٦.

٤٥. هو أحمد بن عمر القرطبي.

٤٦. الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٢٩.

٤٧. أي : إلىٰ المعنىٰ الذي نقله عن الطيبي في معنىٰ الفطرة.

٤٨. جزء من حديث رواه البخاري، ص٢٦٨ برقم ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، مسلم، ص١٠٦٦ برقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة.

٤٩. فتح الباري ٣/ ٢٤٩.

٥٠. انظر الكشّاف (الزمخشري ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٧٧م) ٣/ ٢٢٢.

٥١. انظر الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٩.

٥٢. انظر أنوار التنـزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م) ٤/ ٢٠٦.

٥٣. انظر البحر المحيط ٧/ ١٦٧.

٥٤. انظر تفسير الثعالبي المسمّىٰ بالجواهر الحسان في تفسير القرآن (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م) ٤/ ٣١٣.

٥٥. انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (البقاعي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦م) ٥/ ٦٢٢.

٥٦. انظر تفسير أبي السّعود المسمّىٰ: إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم (دار إحياء التراث العربي ، بيروت) ٧/ ٦٠.

٥٧. انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني ١١/ ٤٠.

٥٨. انظر التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (مؤسّسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٠م) ٢١/ ٤٨.

٥٩. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٨، وانظر الجامع ١٧/ ٦٢، ١٩/ ٢٨.

٦٠. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٧.

٦١. أخرجه السّيوطي في الدرّ المنثور (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م) ٧/ ٥، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٧٢٨ برقم ١٦٨٢.

٦٢. انظر الموطأ (الدار السّودانية للكتب ، الخرطوم ، ط١ ، ٢٠٠١م) ص٦٤٣.

٦٣. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٥.

٦٤. كل مولود يولد على الفطرة ص١٨.

٦٥. فتح الباري ٣/ ٢٤٩.

٦٦. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٥.

٦٧. انظر: تفسير الطبري (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) ٨/ ٢٠٧-٢٠٨، تفسير الرازي (دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م) ١٤/ ٤٩، تفسير القرطبي ٧/ ١٨٨، تفسير ابن عطيّة ٢/ ٣٩٢، تفسير الثعالبي ٣/ ٢٢، تفسير الطبراني (دار الكتاب الثقافي ، اربد ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م) ٣/ ١٣٢-١٣٣، زاد المسير (ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م) ص٤٩٠، تفسير البيضاوي ٣/ ١٠، تفسير الجلالين (دار ابن كثير ، بيروت ، ط١١ ، ١٩٩٩م) ص١٥٣، فتح القدير، ص٥٨٢، تفسير الكلبي ١/ ٢٩٩، الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة (الجمل ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م) ٣/ ٢٧، تفسير القاسمي (دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م) ٥/ ١٧٧٠، روح البيان (البروسوي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ٢٠٠١م) ٣/ ١٩٧، التحرير والتنوير ٨/ ٦٩.

٦٨. أخرجه البخاري، ص٦٤٠ برقم ٣٣٤٩، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله ابراهيم خليلا) (النساء: ١٢٥)، مسلم، ص١١٤٧ برقم ٢٨٦٠، كتاب الجنّة، باب فناء الدُّنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

٦٩. تفسير الطبري ٨/ ٢٠٧-٢٠٩.

٧٠. انظر تفسير الطبري ٨/ ٢٠٧، تفسير الرازي ١٤/ ٤٩، البحر المحيط ٤/ ٢٩٠، تفسير ابن عطيّة ٢/ ٣٩٢، الدرّ المنثور ٣/ ٣٩٥-٣٩٦.

٧١. تقدم تخريجه.

٧٢. انظر: تهذيب التهذيب (ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م) ١/ ١٥١ برقم ٢٦٨، ميزان الاعتدال ١/ ١٩٤-١٩٥ برقم ٢٢٤، تهذيب الكمال (المزي ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٤م) ٢/ ٢١١-٢١٤ برقم ٢٥٠، تاريخ البخاري الكبير (البخاري ، دار الفكر ، بيروت) ١/ ٣٢٨ برقم ١٠٣٢.

٧٣. انظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٩، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (ابن تيميّة ، دار الكنوز الأدبيّة) ٨/ ٣٨٧.

٧٤. فتح الباري ٣/ ٢٤٨، وانظر: كل مولود يولد على الفطرة، ص١٩-٢١، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٥.

٧٥. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٥.

٧٦. انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٤٨، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٥.

٧٧. انظر: تفسير الطبري ٢١/ ٥٠-٥١.

٧٨. أخرجه البخاري، ص٢٦٣ برقم ١٣٥٨، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، مسلم ١٠٦٦ برقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

٧٩. أخرجه مسلم، ص١٠٦٧ برقم ٢٥٦٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، أحمد في المسند، ص٥٣٥ برقم ٧٤٣٦، ٧٤٣٧، ٧٤٣٨.

٨٠. انظر شفاء العليل (ابن قيم الجوزيّة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م) ص٦١١-٣١٢.

٨١. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (ابن الأثير ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٦م) ٢/ ٦٨٠.

٨٢. أخرجه مسلم، ص١١٤٨ برقم ٢٨٦٥، كتاب الجنّة، باب الصفات التي يعرف بها في الدُّنيا أهل الجنَّة وأهل النار، أحمد في المسند، ص١٢٤٢ برقم ١٧٦٢٣.

٨٣. هو زكريا بن أبي زائدة، أحد رواة الحديث.

٨٤. هو مصعب ابن شيبة، أحد رواة الحديث.

٨٥. أخرجه مسلم، ص١٢٩ برقم ٢٦١، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة.

٨٦. انظر كلام ابن القيم في شفاء العليل ص٦١٨.

٨٧. تأويل اللبن في الرؤيا بالفطرة جاء في حديث أبي بكره مرفوعاً: "من رأىٰ أنه شرب لبناً فهو الفطرة" ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٧١ برقم ١١٧٧١، وقال: رواه البزّار، وفيه من لم أعرفه. وعزاه الحافظ في الفتح ١٢/ ٣٩٣ للطبراني، وجاء في حديث أبي هريرة، رفعه: اللبن في المنام فطرة" ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٧١ برقم ١١٧٦٩، وقال: رواه البزّار، وفيه محمّد بن مروان وهو ثقة، وفيه لين، وبقيّة رجاله ثقات، وعزاه الحافظ في الفتح ٢/ ٣٩٣، للبزّار، وانظر كشف الأستار برقم (٢١١٧).

٨٨. انظر: طريق الهجرتين ص٥٨٧، مختصر الفتاوي المصريّة لابن تيميّة ص٦٢٦٦، التذكرة ٣/ ١٠٤٠، فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

٨٩. روي الحديث من ثلاثة طرق كلها ضعيفة، وبيان ذلك بالآتي:

أ- رواه من طريق أبي سعيد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البزّار برقم (٢١٧٦) زوائد، فقال حدثنا محمّد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا عبد الله بن موسىٰ، ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطيّة، عن أبي سعيد عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسبه قال: "يؤتىٰ بالهالك في الفترة، والمعتوه والمولود،

فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي ربّ لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شرّاً، ويقول المولود: لم أدرك العمل، قال: فترفع لهم نار فيقال لهم: ردّوها، أو قال: أدخلوها – فيدخلها من كان في علم الله سعيداً أن لو أدرك العمل. قال: ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً أن لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالىٰ: إيّاي عصيتم، فكيف برسلي بالغيب" قال البزّار: لا نعلمه يروىٰ عن أبي سعيد إلا من حديث فضيل، قلت: وفضيل يخطئ كما ذكر الحافظ وغيره، وأضعف منه عطيّة وهو العوفي، وبالإضافة إلىٰ ضعفه فهو مدلّس وقد عنعن. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٤ برقم ١١٩٣٨ رواه البزّار، وفيه عطيّة، وهو ضعيف.

ب- ورواه من طريق أنس بن مالك صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: البزّار برقم (٢١٧٧) زوائد قال: حدّثنا يوسف بن موسىٰ، ثنا جرير بن عبد الحميد، عن ليث بن أبي سليم عن عبد الوارث، عن أنس بن مالك صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يؤتىٰ بأربعة يوم القيامة: بالمولود، والمعتوه، ومن مات بالفترة، وبالشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجّته، فيقول الله تبارك وتعالىٰ لعنق من جهنم –أحسبه قال– أبرزي، فيقول لهم: إني كنت أبعث إلىٰ عبادي رسلاً من أنفسهم فإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يارب أتدخلناها ومنها كنا نفرق، ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً، قال: فيقول الله: قد عصيتموني، وأنتم لرسلي أشدّ تكذيباً ومعصية، قال فيدخل هؤلاء الجنة، وهؤلاء النّار". وفي الإسناد ليث بن أبي سليم وهو إلىٰ الضعف أقرب، وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٣٣ برقم ١١٩٦٣: رواه أو يعلي والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ،وبقية رجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح.

ج- ورواه من طريق معاذ بن جبل صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطبراني في الكبير ٢٠/ ٨٣ رقم (١٥٨) فقال: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر الدمشقي ثنا محمد بن المبارك الصوري (ح) وحدثنا أحمد بن المعلىٰ الدمشقي ثنا هشام بن عمار قالا: حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس عـن أبي إدريس عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قال: "يؤتىٰ يوم القيامة بالممسوح عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول الممسوح عقلاً: يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد بعقله مني، ويقول الهالك صغيراً: يا رب لو آتيتني عمراً ما كان من آتيته عمراً بأسعد بعمره مني، ويقول الهالك في الفترة: يا رب لو جاءني منك رسول ما كان بشر أتاه منك عهد بأسعاد بعهدك مني، فيقول الرب تبارك وتعالىٰ: فإني آمركم بأمر أفتطيعوني؟ فيقولون نعم وعزتك، فيقول: اذهبوا فادخلوا جهنم، ولو دخلوها لم تضرهم شيئا. فيخرج عليهم فرائص من النَّار يظنون أنها أهلكت كل ما خلق الله من شيء، ثمَّ يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب عز وجل خلقتكم بعلمي وإلىٰ علمي تصيرون فتأخذهم النار".

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤ برقم ١١٩٣٩: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمرو بن واقد وهو متروك عند البخاري وغيره ورمي بالكذب، وقال محمّد بن المبارك الصوري كان يتبع السلطان وكان صدوقاً. وبقيّة رجال الكبير رجال الصحيح.

فعمرو بن واقد متروك وتوثيق الصوري له إلىٰ من جرحوه ليس بشيء فالحديث ضعيف جداً. انظر هامش كل مولود يولد علىٰ الفطرة، ص٢٧-٢٩ بتصرف.

٩٠. أظنّه عبد الحق الإشبيلي.

٩١. انظر: كل مولود يولد علىٰ الفطرة، ص٢٦-٣٢. وانظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٦، التذكرة ٣/ ١٠٤٢-١٤٠٣، التمهيد ١٨/ ١٣٥، المنهاج للحليمي ١/ ١٥٩.

٩٢. انظر تفسير ابن عطيّة ٣/ ٤٤٤، وبنحوه قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٣٢.

٩٣. انظر: تفسير الرازي ٣٠/ ٨٤-٨٥ بتصرف.

٩٤. أخرجه مسلم، ص١٠١ برقم ١٨٣، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

٩٥. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٣٠٥.

٩٦. انظر: فتاوىٰ ابن تيميّة (بلا) ٢٤/ ٣٧٢، فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

٩٧. كل مولود يولد على الفطرة، ص٢٤.

٩٨. انظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٦، التذكرة ٣/ ١٠٣٨.

٩٩. فتاوى ابن تيمية ٢٤/ ٣٧٢.

١٠٠. فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

١٠١. أخرجه البخاري ص٥٧٧ برقم ٣٠١٢، كتاب الجهاد والسير، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري، مسلم ص٧٢٤ برقم ١٧٤٥، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمّد.

١٠٢. فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

١٠٣. فتح الباري ٦/ ١٤٧.

١٠٤. قال النووي: "ومعنى البيات ويبيتون: أن يُغار عليهم بالليل بحيث لا يعرف الرجل من المرأة والصبي" انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٥٠.

١٠٥. صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٥٠.

١٠٦. أخرجه أحمد ص١١٠٥ برقم ١٦٠١٩، البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٧٢ برقم ١٩٩٥، ابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١١٩، والنسائي في التفسير كما ذكر الحافظ المزي في التحفة ٤/ ٢٠٧، وهذا اللفظ يختلف قليلاً عن اللفظ الذي ساقه الإمام أحمد، وهو اللفظ الذي ذكره الإمام السبكي في رسالة (كل مولود يولد على الفطرة) ولعل سياق السبكي هو الذي رواه النسائي. على ما نقله محقق رسالة السبكي.

١٠٧. كل مولود يولد على الفطرة ص٢٥.

١٠٨. أخرجه أحمد ص١٩٠٥ برقم ٢٦٢٦٢، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٥ برقم ١١٩٤١، وقال: رواه أحمد وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل، ضعّفه جمهور الآئمّة أحمد وغيره ويحيى ابن معين.

١٠٩. انظر: تهذيب الكمال ٣١/ ٥١٣-٥١٥، وانظر تعليق الألوسي على الحديث في روح المعاني ٨/ ٣٤.
١١٠. انظر طريق الهجرتين، ص٥٧٤.
١١١. ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٥ برقم ١١٩٤٠، وقال: رواه عبد الله بن أحمد، وفيه محمد بن عثمان، ولم أعرفه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.
١١٢. انظر طريق الهجرتين، ص٥٧٥.
١١٣. أخرجه البخاري، ص١٤٢١ برقم ٧٤٤٩، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (إنّ رحمت الله قريب من المحسنين) (الأعراف: ٥٦)، واللفظ له، مسلم، ص١١٤٣ برقم ٢٨٤٦، كتاب الجنّة، باب النَّار يدخلها الجبّارون والجنَّة يدخلها الضعفاء.
١١٤. فتح الباري ١٣/ ٤٣٦-٤٣٧.
١١٥. إشارة إلى قوله تعالى: (وتمّت كلمة ربّك لأملأن جهنّم من الجنَّة والنَّاس أجمعين) (هود: ١١٩).
١١٦. فتح الباري ١٣/ ٤٣٧، وانظر طريق الهجرتين، ص٥٧٧، وانظر ما علّقه ابن باز على هامش الفتح ١٣/ ٤٣٤.
١١٧. أخرجه البخاري، ص٩٥٢ برقم ٤٨٥٠، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(هل من مزيد) (ق: ٣٠).
١١٨. انظر: الصاوي على الجلالين ٣/ ٣١٢.
١١٩. انظر: تفسير المراغي ١٥/ ٢٤، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٥٧، ١٠/ ٢٣٠، تفسير ابن كثير، ص١٠٠٥، تفسير الطبراني ٤/ ١٠٢، زاد المسير، ص٨٠٦، التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٨٤، تفسير الشربيني، ٢/ ٣٢٢.
١٢٠. تفسير الرازي ٢٠/ ١٣٧.
١٢١. انظر فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

١٢٢. أخرجه الطبري في التفسير ٣٠/ ٣٤ برقم ٢٨٠١٨.
١٢٣. أخرجه مسلم ص١٠٤٠ برقم ٢٥٨٢، كتاب البر والصّلة والآداب، باب تحريم الظلم، أحمد، ص٦٥٢ برقم ٩٣٢٢، الترمذي، ص٣٩٦ برقم ٢٤٢٠، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.
١٢٤. أخرجه الطبري في التفسير ٣٠/ ٣٣ برقم ٢٨٠١٧، والسيوطي في الدرّ المنثور ٨/ ٣٦٩، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور.
١٢٥. انظر فتح الباري ٣/ ٢٤٦، الاعتقاد، ص١٠٨-١٠٩.
١٢٦. انظر الاعتقاد، باب القول في الأطفال، ص١٠٩.
١٢٧. انظر التذكرة ٣/ ١٠٤٣.
١٢٨. أخرجه الطبراني في الأوسط، ١/ ٥٥٥ برقم ٢٠٤٥، الكبير ٧/ ٢٤٤ برقم ٦٩٣٣، أبو داود الطيالسي برقم (٢١١١)، أبو يعلي في مسنده ٧/ ١٣٠-١٣١ برقم ٤٠٩٠، البزّار (٣١٣٣) كشف، ابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١١٨ والحديث ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٨ برقم ١١٩٥٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزّار، وفيه عباد بن منصور، وثقة يحيىٰ القطان، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات، فالحديث -كما رأيت- إسناده ضعيف بسبب عباد بن منصور، مدلس وقد عنعن، وقال القرطبي في التذكرة ٣/ ١٠٤٤: وإسناد هذا الحديث ليس بالقوي، وكذا ضعف إسناده الحافظ في الفتح ٣/ ٢٤٦.
١٢٩. انظر: تهذيب الكمال ١٤/ ١٥٨-١٦٠، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٥-١٠٦.
١٣٠. ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٣١٨ برقم ١١٩٥٦، وقال: روه أبو يعلىٰ، والبزّار، والطبراني في الأوسط، إلا أنهما قالا: "أطفال المشركين" وفي إسناد أبي يعلىٰ: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق، ووثقة ابن عدي، وبقيّة رجالهما رجال الصّحيح.
١٣١. انظر: تهذيب الكمال ٣٢/ ٦٦-٦٩، ميزان الاعتدال ٧/ ٢٣٢-٢٣٣، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٦٨-٢٦٩.

١٣٢. انظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٦، كل مولود يولد على الفطرة، ص٢٥-٢٦، الاعتقاد للبيهقي، ص١١٠، التذكرة للقرطبي ٣/ ١٠٣٦، المنهاج في شعب الإيمان ١/ ١٦٠، والحديث المذكور تقدم تخريجه.

١٣٣. يولد الإنسان على الفطرة، ص٢٦، الاعتقاد للبيهقي، ص١١٠.

١٣٤. انظر فتح الباري ٣/ ٢٤٦.

١٣٥. فتح الباري ٣/ ٢٤٧.

١٣٦. انظر فتح الباري ٣/ ٢٤٧.

١٣٧. رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٨ برقم ٩٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا نعلم له علّة، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٥ برقم ١٢٧٦٤، البزّار ٢/ ٢٠٠ (زوائد)، اللالكائي في الاعتقاد ٤/ ٣٥٩ برقم ١١٢٧ موقوفاً، ابن حبّان في صحيحه ١٥/ ١١٩ برقم ٦٧٢٤، ابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١٣١ موقوفاً، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٢٩٥ برقم ١١٨٥٤، وقال: رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال البزّار رجال الصحيح.

١٣٨. كل مولود يولد على الفطرة، ص٣٧-٣٨.

١٣٩. انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز، ص٢٧٦.

١٤٠. أي البخاري.

١٤١. فتح الباري ٣/ ,٢٤٦

١٤٢ . ردّ المحتار على الدر المختار ١/ ٣٧٤ .